



الثورة أولاً

الثلاثاء, 03 يناير 2012

حسام عيتاني

أن تتحد المعارضة السورية، هذا جيد. أما أن تنقسم فهذا سيئ. بهذه البساطة يمكن إيجاز «الحكمة» التي يرى بها مؤيدو الثورة على نظام الرئيس بشار الأسد حال المعارضة والعلاقات بين جماعاتها ومجالسها وهيئاتها.

لا ريب في ان تفاقم حال العداء بين مكونات المعارضة، يبطئ ويعرقل تقدم الثورة، على ما ظهر من تبادل الاتهامات بعد الفوضى التي رافقت نشر البيان المشترك الموقع في القاهرة بين «المجلس الوطني» و «هيئة التنسيق». ولا شك في ان الانحدار الى هذا المستوى من الخطاب بعد أيام من انتهاء المفاوضات يضرب صدقية الطرفين اللذين تعتمد وحدتهما الداخلية على توافقات هشة.

بيد أن كل هذا لا يلغي جملة من الحقائق الراسخة والتي تزداد صلابة مع الأيام. أولاًها ان الثورة السورية لم تنطلق بتخطيط من قوة او حزب معارض ولم تأخذ إذناً، لا من «الهيئة» ولا من «المجلس». لقد نزل السوريون إلى الشوارع وأعلنوا عزمهم على إسقاط حكم الاستبداد قبل ان تعي كل القوى المعارضة عمق وجذرية واتساع ما يحصل. لقد سبق الشارع السوري كل القيادات، التقليدية والجديدة، أشواطاً بعيدة، وما زال متقدماً عليها على ما نرى من نشاطات وشعارات ومطالب المتظاهرين ولوحاتهم الفنية وأعمالهم الموسيقية والقصصية.

وسليم هو القول إن الانطلاقة العفوية تحتاج إلى عقلنة والى من يضع برامج استلام السلطة وإدارة التغيير ومنعه من الانزلاق الى العنف المفرط وإلى المحاذير الطائفية. وصحيح أيضاً أن موضوع الخلاف بين طرفي المعارضة، موضوع التدخل الخارجي، نافل وغير ذي معنى في هذه اللحظة التي لا يبدو فيها أي احتمال جدي لحصول عمل عسكري خارجي، سواء برأ او جواً. بيد ان كل هذه المعوقات لن تؤدي إلى إجهاض الثورة والقضاء عليها، على رغم ان النظام وأنصاره سيستغلونها في حملاتهم الإعلامية على المعارضة.

بكلمات ثانية، ستواصل الثورة السورية طريقها، وستجاوز قصور المعارضة وإشكالياتها الزائفة من نوع «قبول التدخل الخارجي او رفضه» و «معارضة الداخل ومعارضة الخارج» وما يصب في هذه الخانة من الثنائيات التي لا معنى لها ولا قيمة أمام مهمة وقف سفك الدم السوري. وستلد الثورة قيادتها وبرنامجه وشخصياتها من رحمها هي وليس من اجتماعات القاهرة وغيرها. سيكون هذا الخيار مكلفاً وبطيئاً، لكن في مواجهة العقم والضمور اللذين يسيطران على خيال المعارضة بأقسامها المختلفة، وعلى فاعليتها وقدراتها السياسية والإعلامية، يبدو أن ما من مخرج من الفخ الذي تقبع فيه المعارضة السورية غير الاعتماد على ما يصدر من الشارع المعارض المحتج.

ربما يتناقض هذا مع كتيبات الإرشاد في «صناعة» الثورات التي تعتمد على بعض القوى المعارضة منذ عقود مديدة، لنبيذ فكرة الطليعة والبرنامج والبؤرة الثورية. لكن من الملح اليوم وقف هذه النقاشات، والإنصات الى أصوات ملايين السوريين الذين تظاهروا في «جمعة الزحف الى ساحات الحرية» واستغلال الاندفاع الشعبية، من جهة، والإفلاس الكامل الذي يعيشه النظام، من الناحية المقابلة، لتحقيق إنجاز التغيير التاريخي الذي يتطلع السوريون اليه.

لا تصب هذه الدعوة في أي اتجاه شعبي يتبناه، ديني او طائفي، ترتفع عقيرة أصحابه عبر بعض القنوات الفضائية، بل هي تنحاز الى جانب الخيارات الكبرى التي تبناها الشعب السوري، أولاً وأخيراً.



Source URL (retrieved on 01/03/2012 - 03:59):
<http://international.daralhayat.com/internationalarticle/346119>
 copyright © daralhayat.com